الهجرات العربية والإسلامية الى الغرب ودورها في تكوين الهوية الإسلامية

ا.د. زهير يوسف عليوي حسين

جامعة القادسية / كلية التربية

م.د. خلود عبد غركان

المديرية العامة لتربية البصرة

Zuhair.oleiwi@qu.edu.iq

ملخص البحث:

تشكل الهجرات العربية والإسلامية الي الغرب وامريكا على حد سواء اهمية كبيرة بالنسبة للمفكرين الغربيين ، اذ أصبحت تصورات الغرب عن الإسلام تأخذ اشكالالها عن طريق المسلمين المهاجرين اليها ، وبدأت الصورة الغربية تتغير تدريجيا ، تارة نحو السلم والإعجاب وتاره نحو الحقد والبغضاء ، لقد تغيرت الكثير من المفاهيم الغربية تجاه الإسلام والمسلمين ، خصوصا بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2011، وأصبح القتل والإرهاب هما ألسمه المميزة للاسلام عند غالبية المفكرين الغربيين ، الامر الذي جعل الهوية الإسلامية تتعرض لمفاهيم مغلوطه ، كان سببها المباشر المواقف العدائية تجاه المسلمين وتجديد نظرة الحقد والكراهية ، واخذ مفهوم الهوية الإسلامية يتغير تبعا لتغير السياسات الغربية مع دول الاسلام .

هذا البحث محاوله لتحديد مفهوم الهوية الاسلامية عند الغرب وإشكاليات التعامل مع الآخر في ظل المتغيرات الحديثه .

الكلمات المفتاحية : الغرب ، هوية ، هجرات ، العربية .

Arab and Islamic migrations to the West and their role in shaping the Islamic identity

Prof. Dr. Zuhair Yousef Aliwi Hussein

University of Al-Qadisiyah / College of Education

Assis. Dr. Kholoud Abdul Gharkan

General Directorate of Education in Basra

Abstract :

Arab and Islamic migrations to the West and America alike are of great importance to Western thinkers, as Western perceptions of Islam have taken their forms through Muslim immigrants, and the Western image has gradually begun to change, sometimes towards peace and admiration and sometimes towards hatred and malice. Many Western concepts towards Islam and Muslims have changed, especially after the events of September 11, 2011, and killing and terrorism have become the distinguishing features

of Islam for most Western thinkers, which has exposed Islamic identity to misconceptions, the direct cause of which was hostile attitudes towards Muslims and the renewal of the view of hatred and malice, and the concept of Islamic identity began to change according to the change in Western policies with Islamic countries. This research is an attempt to define the concept of Islamic identity in the West and the problems of dealing with others in light of modern variables .

Keywords: West, identity, migrations, Arabic.

المقدمة :

ازدادت ظاهرة الهجرات الغير شرعية من الشرق الأوسط الى الغرب ، وقد شكلت لدى الغرب صورة متغيرة عن الإسلام والمسلمين ، وحاولت بعض القوى الغربية الحد من هذه الظاهرة نظرا لما تحمله من مخاطر على امن الغرب ، وهذه الظاهرة بدورها تعكس طابعا سلبيا لتغير نمط العلاقات الغربية الشرقية مع الإسلام والمسلمين ، وقد أثرت هذه الظاهرة حتى على نمط التعامل مع المسلمين القائمين هنالك ، وأخذت سلطات الغرب تعاملهم أسوء المعاملات كونهم مسلمين ومن قوميات متعددة لاتنسجم مع واقع حال الغرب وطبيعة حالهم .

ان البحث في موضوع تحديد الهوية الاسلامية في الغرب يعد من المواضيع الشائكه والصعبه فليس من السهل اقناع مجتمع غربي بحقيقية الدين الاسلامي دون التطرق الى خلفية جذور هذا الدين وتحديد طبيعية العلاقة بينه وبين الأديان الأخرى كاليهودية والمسيحية ، وعلى الرغم كثرة الجهود الغربية لعلماء غرب حاول قدر جهدهم تصحيح الرؤية النمطية المتخلفة للغرب عن الإسلام الا ان مسالة الهوية الإسلامية ظلت عالقة وتثير الشك لدى علماء الغرب والإسلام .

هذا البحث محاولة لإلقاء الضوء على حقيقية الهوية الإسلامية المعاصرة في ظل الهجرات العربية الى الغرب وأمريكا .

أهداف البحث : يهدف البحث توضيح طبيعة الهوية الإسلامية من خلال تواجد الأقليات المسلمة وطبيعة تعايشها السلمي في ظل المجتمعات الأوربية والأمريكية ، اذ تعرضت هذه الأقليات الى العديد من الهجمات العدائية التي حاولت تشويه صورة الإسلام والمسلمين ، وقد قام الغرب بتضييق الخناق عليهم وتحديد مشاركاتهم في الحياة اليومية والتمثيل الدبلوماسي ، كانت معاناتهم كبيرة باعتبارهم يمثلون المسلمين والاسلام ويعكسون صورة الاسلام الحقيقية لكن واقع حالهم انهم جماعات هربوا لاضطراب الاحوال في بلدانهم بحثا عن مكان آمن يؤمن لهم العيش الهادئ الرغيد ، وواقع حالهم انهم اناس مسالمون يمثلون صورة الاسلام السمحاء.

مشكلة البحث : يعالج البحث الرؤية الغربية المغلوطه عن الاسلام والمسلمين من خلال تعامل الغربيين مع الاقليات المهاجرة ، هذه الجماعات التي تعرضت الى القدح والتشريد ، والتي عانت من عداء الغرب القديم للاسلام والمسلمين ، ان الغرب يرى في هذه الجماعات انها تمثل الاسلام الذي هو من وجه نظرهم دين الدم والعنف ، وبذلك اخذوا يعادون من يحاول تفسير الاسلام بصورته الحقيقية ، وهم واقع حالهم يمثلون التعايش السلمي بين الامم والديانات السماوية

المحور الأول : لقد ظهرت الهجرات الغير شرعية الى اوربا وأمريكا في نهاية التسعينات ، واختلفت الأسباب وراء ظهورها .وقد بدأت تشكل تهديدا واضحا للغرب وبشكل يؤثر وينعكس

علي سياسات تلك الدول التي بدورها أخذت تغير مجرى التعامل مع المهاجرين وجنسياتهم المختلفه ، وهذا بدوره اخذ الطابع السلبي في تغير هوية الإسلام والمسلمين عند الغرب.

ومن الملاحظ ان ظاهرة الهجرة في التسعينات بدأت خجولة لكن مع استمرار اضطراب الأوضاع في الشرق ، وتغير سياسة الدول والحكومات مع الشعب وكثرة الحروب والقتل والتهميس ، وتردي الأوضاع الاقتصادية ازدات ظاهرة الهجرة الى الغرب ، واخذت تشكل مشكلة اساسية يحسب الغرب لها الحسبان ، وأصبح أعداد المهاجرين في زيادة مطرده جعلت الغرب يستعر بالخطر تجاه هذه الهجرات .

يقول اسبوزيتو: (ان وجود المسلم في اوربا وشمال امريكا يشكل تحديا بالفعل ، ولكن ليس بتفس المعنى الذي تنبا به البعض ، فاولا وقبل كل شي يتمثل التحدي في ان نفرق بين غالبية المواطنين المسلمين وبين اقلية من اهل العنف الثوريين ، وغالبية المسلمين مثل كثيرين من قبلهم هاجروا الى الغرب هربا من النظم الاستبدادية او سعيا وراء مستقبل افضل لهم ولعلاقاتهم اقتصاديا وتعليميا ، وهم يرغبون في ان يكونوا مواطنين مخلصين ، وهم كذلك بالفعل ، وعلى كل حال فانهم مثل اقليات كثيرة يواجهون تحديات الذوبان في مواجهة التماسك الكلي ، وقد واجه اليهود والروم الكاثلوليك مثل كثيرين من الجماعات الدينية والعرقية مشكلة الذوبان دون فقدان الهوية)[1]

إزاء ذلك تغيرت الكثير من المفاهيم الغربية تجاه الإسلام والمسلمين وأصبح القتل والإرهاب والدم هما السمة المميزة للإسلام عند غالبية المفكرين الامريكين، ومن هذه المنطلقات تشكلت لدى الغرب عموما والأمريكان خصوصا معلومات ومواقف عدائية تجاه المسلمين والعالم الاسلامي ، وأصبحت الحركات الاصولية هي من يمثل صورة الإسلام والمسلمين ، و الى اليوم هذه الجماعات تمثل التهديد الحقيقي للغرب والامريكين على حد سواء وراحت كتاباتهم تكتب عن الصورة المشوه لواقع الاسلام الحقيقي ، وقد أخذت أطرا ومناهج تختلف عن مسار الكتابات الغربية التقليدية ، فهي تدعوا الى يقظة وحذر تجاه الإسلام والعالم الإسلامي ، كما وفي المقابل كان هنالك الكثير من المؤسسات في امريكا والغرب تعمل على مكافحة تشويه صورة الإسلام والمسلمين في وسائل الإعلام الأمريكية ، وتبديل الصورة السلبية عنها بالايجابية ، تكمن أهمية البحث انه يتناول شخصية لها مكانها في الأوساط الغربية والعربية ، وقد عرفت بالحيادية في طرح الافكار وتقريب وجهات النظر بين المسلمين والغرب ،ولعل افضل من دافع عن موضوع المسلمين والهجرة هو المفكر الامريكي جون اسبوزيتوا فقد كتب اسبوزيتوا اثاره ليكشف حقيقة التهديد الإسلامي وفي الوقت نفسة يدعو الغرب الى تغير الصورة النمطية المشوهة عن الاسلام والمسلمين ، وتبديلها بالرؤية الايجابية المتسامحة عنهم محاولا توضيح أهم الإشكاليات في سوء فهم الغرب للدين الاسلامي .

إشكالية التأقلم والاندماج : ليس من السهل للمسلمين المهاجرين الى اوربا وامريكا التأقلم مع مجتمع يختلف من حيث الدين والمعتقد وطبيعية الحياة اليومية ، لذا فان الاقليات الدينية في الغرب حتما تعيش في محنه ، وهي حقيقة واقعه لاسبيل الى تجاهلها وينبغي على كل مسلم الاحساس الصادق بمنحنتها ومشكلاتها وظروفها الاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية والنفسية والمعنوية ، على ان من اهم المشكلات التي تعاني منها هذه الأقليات الإسلامية في الغرب وامريكا هي الاضطهاد والتعصب العنصري ، فقد عمل الغرب على التميز العرقي للمسلمين واثأروا ضدهم انواع الحجج التي ارتادوا منها إبعادهم عن أوربا او غيرها ، كان من أهم الأمور التي

[1] - اسبوزيتو، شالتهديد الاسلامي، ص 324

أثيرت هي مسالة العرق السامي أي ما يعرف بالمسالة السامية ، وهي من المسائل المعقدة التي نادي بها الغرب قديما والى اليوم والتي من بين ما تهدف الى تميز العنصر السامي ووضعه في عزلة باعتباره عنصر يختلف عن بقية الأعراق البشرية .

الأمر الآخر عانى المسلمون كثيرا من مسالة التعليم في المدارس من حيث لغة التعليم والمنهاج الدراسية وأمور التعليم المهني ، وهذه الامور بدورها جعلت من المسلم العربي يعيش نوع من إحساس التهميش المقصود ذلك كونه في بلد لا يرغب بوجود نشاط تعليمي لمسلم قادم من بلاد كما يصفها غريبة بالنسبة اليهم ، وقد حجم بدور الكثير من المسلمين الذين كان بمقدورهم إكمال دراساتهم في تلك البلدان والاستفاده من خبراتهم علما ان الغرب لدية سياسة استقطاب العلماء من كل الجنسيات في العالم ، فبالنظر الى المؤسسات العلمية والاكاديمية نجد العديد من علمائها ينتمون الى جنسيات دول غالبيتها من الشرق الاوسط ومن بلدان اسلامية فالمناخ العلمي الذي يوفره الغرب للعلماء جعل الاقبال على الدراسة في الغرب والاستقرار بها من الامور الاساسية ، وعلى اثر ذلك تغير الكثير من الامور ، واصبح الوجود الاسلامي في اوربا حقيقية ويفرض واقعا جديدا ، فقد ازدادت نسبة السكان المسلمين زياده ثابته بسبب الهجرة من جهه وبسبب تضاؤل معدل المواليد في اوربا من جهة أخرى من جهة اخرى الامر الذي دعى البعض يتامل في هذه الزيادة ان اوربا ستكون مسلمه او سيكون الاسلام اوربيا .[1]

ومن الشائع ايضا عند الغرب وامريكا ان المسلمين غير منفتحين على افكار الاخرين ربما نشا من الفكر التي نشاه في العصور الوسطى الاوربية او عن طريق حالات التماس بين الشرق والغرب ففي العصر الحديث نشاه في الكتابات الاوربية والصحف الامريكية ان المعاداة الامريكية تساوي كراهية القيم والثقافة الغربية غير ان معظم اراء المسلمين تتناقض مع الوجه النظر الامريكية القائلة انهم لايرون شيئا يعجبهم للمسلمين الذين يقولون انهم لايعجبهم شي في الغرب ، كما ان الاستياء في الغرب من المسليمين جاء مما يتصوره المسلمون بانه كراهية الغرب للاسلام وتشويه سمعته ، والاعتقاد الغربي بان العرب والمسلمون متخلفون ، وخوف المسلمين من التدخل الغربي والهيمنه والاحتلال ومعرفة الكثيرين بقوه الغرب ، والعولمه التي يهيمن عليها الغرب سياسيا واقتصادا وثقافيا تجعلهم يخشون ان تجتاحهم الثقافة الغربية ، ويفقدون هويتهم الاسلامية واستقلالهم وقيمهم ، وقد ينشأ الاستياء ايضا بين المسلمين في الشرق الاوسط وشمال افريقيا بصورة خاصه من حقيقية انهم في الوقت الذي يعجبون بالتقدم العلمي والتكنلوجي فضلا عن الديمقراطية فان قليلين يعتقدون ان الغرب راغب في السماح لهم بامتلاك هذه المنافع .[2]

في الوقت نفسه كان التعايش مع القيم الاوربية بالنسبة للمهاجرين امر في غاية الصعوبة ، فالعادات والتقاليد الاسلامية لاتنسجم مع التقدم الحضاري والتكنلوجي للغرب ، ولعل من اهم الاشكاليات التي عاني منها المسلمون هو مسالة الحجاب للمرأءة المسلمه التي صارعة من اجل عقيدتها والحفاظ على قيمها الدينية ، ولعل مسالة كانت عند الغرب تمثل نوعا من التخلف الذي جلبه المسلمون المهاجرون الى الغرب ، فكانت حملات وصيحات الغرب متواصله من اجل اسقاط هيبة الالتزام الديني والدعوه الى فرض الحرية الغربية بالطريقة الاجبارية .

لقد عاني المسلمون من هذه المشكلة وتعرضت الكثير من النساء المسلمات الى المطارده والتعذيب والاعتقال خصوصا في فرنسا ولم يقم الحد عند ذلك بل تعرضن الى التعذيب والاعتقال

[1] - لويس ، برنارد ، هوامش على قرن مضى ، خواطر مؤرخ مهتم بالشرق الأوسط ، بالاشتراك مع بنزي اليس تشيرشيل ، ترجمة عبد الله الاسمري ، بغداد ، دار الرافدين ، ط1، 2023، ص 204

[2] - داليا مجاهد ، من يتكلم باسم الاسلام ، ص 145

ذلك بحجه ان الاسلام دين التخلف والمهاجرين هم من يدعوا الى ذلك التخلف ، واستمرت حملات الاعتقال للنساء المسلمات حتى يومنا هذا .

اما الامر الاخر الذي يعكر صحو التعايش السلمي للمهاجرين فهو عدم الاعتراف بالدين الاسلامي الدين المغاير الى المسيحية والاسلام ، والين الذي وصف عند الغرب بانه دين التخلف والرجعية ، وقد كان للجماعات المهاجرة حلقات نقاش ومجالس نظر بينهم وبين من يسكن معهم حاولوا قدر جهدهم توضيح مفاهيم الدين الاسلامي المغلوطه لدي الغرب فكان الغرب وامريكا وكل من يسمع عن الاسلام فئتين الاولى متعصبه كاره للدين الاسلام التي ترى في هذا الدين دين الدم والكراهية ، والثانية معتدلة دافعت قدر جهدها عن الاسلام والمسلمين وهي تعمل على ايجاد حوار بناء متفاهم بين الحضارتين الاسلامية والمسيحية ، لكن على الرغم من ذلك الا انها تعرضت الى النقد اللاذع من قبل الاوساط الفكرية الغربية .

على اننا يمكن ان نشخص بعض الامور التي ساعدت على ايجاد التفاوت بين الفريقين منها على سبيل لا الحصر هو عدم التنسيق الموحد بين الجماعات المهاجرة والغرب ، وكذلك ضعف التمثيل السياسي الصحيح فالأقليات ألمسلمه في أوربا يلاحظ عليها نقص التنظيم والتضامن وتوحيد المواقف بينهم ، وبذلك لا يستطعون اختيار من يمثلهم سياسيا امام الدول ولعل مرد ذلك الى تعدد جنسيات الجماعات المهاجرة الى الغرب واختلاف مذاهبهم الإسلامية [1].

اما فيما يخص غياب التنسيق فان تعدد المنظمات والجهات المسؤله عن الدعوه والعمل الاسلامي ، وكثير من الاقليات نقلت معها الى بلاد الاغتراب عاداتها وتقاليدها وخلافاتها وحزبياتها وتناحراتها وهذا بدوره ساعد على تشوية صورة المسلمين وله انعكاساته ، كما ويلاحظ ارتباط انشطة وجهود العمل الاسلامي في اوربا بحكومات البلدان العربية والاسلامية التي تمولها مما يعطي تلك الانشطه صبغه سياسية تعكس خلافات تلك الدول [2]، ها بالإضافة الى دور نشاط الاستشراق في توسيع دائرة الخلاف بين الغرب والأقليات المسلمة الموجودة هنالك

الاسموفوبيا وحقيقية التهديد الإسلامي للغرب.

كان من نتيجة ظهور الارهاب وازدياد الهجرات الي اوربا روج الغرب الى ما يعرف بـــ(رهاب الإسلام) او ما يعرف مؤخرا بالاسلاموفبيا،وهذا بدوره يمثل شكلا جديدا من التعامل مع الإسلام والمسلمين ، وقد ظهرت لدى الغرب اصوات عديده تطالب العرب والمسلمين بان يقوموا بدور ايجابي وفعال في المجتمع الامريكي وتكوين جماعات ضغط عربية قوية تواجه جماعات الضغط الصيهونية وتحد من تاثيرها على السياسة الامريكية الخارجية والرأي العام الامريكي والحكومة الامريكية ووسائل الاعلام الامريكية [3].

كما وفي اواخر الثمانيانات وبداية التسعينات بدأ مسلموا الولايات المتحدة الامريكية مرحلة تاسيس مؤسساتهم السياسية والاعلامية حيث اسست عدة مؤسسات اسلامية امريكية وهي مجلس الشؤون العامة الاسلامية والمجلس الامريكي الاسلامي ، ومجلس العلاقات الامريكية الاسلامية والتحالف الامريكي الاسلامي ، وقد عملت هذه المؤسسات على مكافحة تشوية صورة الاسلام

[1] - سعد الدين ، محمد منير ، مقدمة كتاب الجاليات في اوربا الغربية ، مشكلات التاقلم والاندماج ، بيروت ، دار النفائس ، ط1، 2003، ص 10

[2] - سعد الدين ، المرجع نفسه ، ص 10

[3] - ريا قحطان الحمداني ، الاسلاموفوبيا ، جماعات الضغط الاسلامي في الولايات المتحدة الامريكية ، منظمة كير ، العربي للنشر والتوزيع ، 2011، ص 5،

والمسلمين في الاعلام الامريكي ، وتبديل الصورة السلبية عنهما بالصورة الايجابية ، وتشجيع العرب والمسلمين على المشاركة في الحياة السياسية الامريكية واستخدام حقوقهم المكفولة دستوريا خاصة حقوق التصويت وحرية الراي والتعبير وحرية التنظيم السياسي والعمل على التاثير في السياسة الخارجية الامريكية لتطوير الموقف الامريكي من قضايا المسلمين المهمة ، لقد تخطى العرب والمسلمين مرحلة النشاة الى مرحلة الاستقرار والسعي الى زيادة تاثيرهم السياسي ومواجهة جماعات الضغط الصيهوني ونجحت هذه المؤسسات في طرح خطاب اعلامي جديد وتقديم وجه النظر العربية والاسلامية في العديد من المحافل الاعلامية والسياسية الامريكية ، كما نجح قادة هذه المؤسسات في إقامة علاقات قائمة على الثقه والاحترام بين قيادات هذه المؤسسات واعضاء في الكونكرس الأمريكي اضافة الى ممثلي الدوائر الرسمية المختلفة.[1]

برزت ظاهرة الاسموفوبيا الإستراتيجية بقوة بعد نهاية الحرب البارده وتجذرت بعد أحداث بعد احداث الحادي عشر من سبتمبر ايلول 2001، وتتمحور هذه الصفة حول الخطر الذي يشكله الفضاء الإسلامي عقيدة ومجالا على المنظومة الغربية [2] وقد ارتبط هذا المصطلح بمضمون الهوية وتحديد معنى مفاهيم الهوية الاسلامية وعلى الرغم من تعدد مفاهيم الهوية الا إننا يمكن وصفها بأنها مفهوم اجتماعي نفسي يشير الى كيفية إدراك شعب ما لذاته ، وكيفية تمايزه عن الآخرين، وهي تستند الى مسلمات ثقافية عامة ،مرتبط تاريخيا بقيم اجتماعيه وسياسية وثقافية[3] يعتبر العرق مصدرا أساسيا في تحديد الهوية للمجتمعات المعاصرة ، بل هو أكثر أهمية من موضوع الطبقة ، وذلك ربما يعود جزئيا الى إمكانية رؤية الفروقات الظاهرة بين الأجناس [4] ، وموضوع الهوية يرتبط ارتباطا كليا في الأزمنة الحديثة بالانتماء ألاثني والعرقي ، اذ يري برنارد لويس (إن العرق هو دالة الهوية الأولى التي لا تمحى ولا تزال هذه الدالة في بعض أجزاء العالم تحضي بأهمية بالغة لكنها ليست هامة في الشرق)[5] يذكر اسبوزيتو عن ذلك قائلا:(ان من المنصف القول إن القبائل والهويات العرقية والقومية تعرف نفسها تاريخيا في إطار الآخر ، وبشكل أدق فوق او مقابل هذا الآخر وذلك بالاعتماد على الأحكام السائدة)[6] .

وبانتشار الإسلام في الشرق والغرب أصبحت مسالة الهوية الإسلامية ضرورة هامة لدراسة مفاهيم الإسلام وحقائقه، والعرب بحكم موقعهم في العالم الى جانب دورهم التاريخي الذي اقترن بالانفتاح على فكر الآخرين وحضاراتهم ، وقد خيروا الاتصال بالغرب في فترات تاريخية وكانوا بين اخذ وعطاء ، ولكنهم كانوا دائما يصدرون عن هوية حضارية واضحة وليس غريبا ان يكون همهم في القرون السابقة تحديد هويتهم الحضارية أمام تحديات الغرب في جميع المجالات [7] .

وتعزيزا لهذا الآراء يرى اسبوزيتوا إن الهوية الإسلامية لم تبقى على ما كانت علية في السابق بل هي آخذة بالتطورات التي تطرأ عل الحضارة والتغيرات التي تواكب العصر فيقول:(شهد العالم

[1] - الحمداني ، المرجع نفسه ، ص5

[2] - ولد أباه ، عبد الله السيد ، الدين والهوية ، إشكالات الصدام والحوار والسلطة ، بيروت ، دار جداول للنشر والتوزيع ط1، 2010، ص110

[3] - ناصر بن سعيد ، الهوية والثقافة ،ص5

[4] - هارلمبس وهولبورن، سشيولجيا الثقافة الهوية، ترجمة حاتم حميد محسن، دمشق ،دار كيون للطباعة والنشر، ط1، 2010،ص111

[5] - الهويات المتعددة للشرق الأوسط ، ترجمة حسن البحري، دمشق ،دار الينابيع ، ط1، 2006،ص63

[6] إشكالية الصورة السلبية للإسلام في الغرب ، حوار مع المفكر جون ،ل، اسبوزيتو أجراه حبيب المالكي على موقع الانترنيت

[7] - الدوري ، عبد العزيز، التكوين التاريخي للأمة العربية ، دراسة في الهوية والوعي، بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية،ص9

الاسلامي انبعاثا اسلاميا هاما وواضحا وشكل التأكيد على الإيمان والهوية قوة جبارة في جميع مظاهر الحياة الانسانية ، انعكست في اللباس وتغير انماط الحياة الاجتماعية والفنون ، بالإضافة الى السياسة والسلطة السياسية ، وقد ترافق هذا الانبعاث مع المطالبات المتزايدة بمشاركة سياسية اوسع في النظام السياسي)[1].

إن الهوية الإسلامية تستوعب حياة المسلم كلها وكل مظاهر شخصيته ، فهي تامة الموضوع محددة المعالم واضحة الملامح، كما أنها تلعب دور مركزي في تكوين الحضارة العربية الإسلامية لأنها حملة لواء الإسلام وساهمت بتبادل التأثير بين الحضارات الذي أصبح سمة أساسية لظهور التقدم الروحي والمعرفي للمجتمعات البشرية ، كما وفي الوقت نفسه ان الإشكاليات التي تواجه الهوية والثقافة ألذاتيه الخالصة في الوقت الحالي هي إشكاليات ذهنية بحته ونوع من آليات الدفاع الذاتي ألمستفزه في حالات الإحباط والفشل بفرض إعطاء توازن داخلي للذات المهزومة .[2]

لقد تعرضت الهوية الإسلامية في الغرب الى الكثير من التبديلات والتغيرات في المفاهيم والاصطلاحات التي لا تمت بأي صلة لهوية الإسلام الحقيقية ، فبعد ان كان العرب والإسلام هم من يمثل تلك الهوية أصبح اليوم الإرهاب والمهاجرين والقتلة هو السمة الأساسية في هوية الإسلام المعاصر ، فمن الواضح إن صورة العرب والإسلام في وسائل الأعلام الغربية وبالتالي في مخيال الغرب عموما صورة غير موضوعية ، صورة يتحكم فيها عنصر ذاتي هو حاجة الغرب الى تشويه الصورة حفاضا على مصالحه ، كما ان الأعلام الغربي يصر إصرارا على ربط الإرهاب بالإسلام في البلدان العربية خاصة متجاهلا عوامل الموضوعية، واستخدم الإرهاب كاده ضغط على البلدان العربية للحصول عل المكاسب التي يبتغيها النظام العالمي ذلك النظام القائم على هيمنة القوى العظمى وتهميش ما عداها.[3]

يرد اسبوزيتو على المفكرين الذين يرون في الوجود الإسلامي خطرا يهدد مستقبلهم اذ يدعوهم الى التميز بين الحركات المتطرفة والمسلمين الآخرين فيقول:(ان الوجود الإسلامي في أوربا وشمال أمريكا يشكل تحديا بالفعل ولكن ليس بنفس المعنى الذي تنبأ به البعض ، فالأول وقبل كل شيء نميل في ان نفرق بين غالبية المواطنين المسلمين وبين أقلية من أهل العنف الثوريين ، وغالبية المسلمين مثل كثيرين من قبلهم هاجروا إلى الغرب هربا من النظم الاستبدادية او سعيا وراء مستقبل أفضل لهم ولعائلاتهم اقتصاديا وتعليميا وهم يرغبون ان يكونوا مواطنين مخلصين)[4] ، والحق ان صورة المهاجر تحولت تدريجيا الى صورة المسلم اثر تنامي حضور الجاليات الاسلامية في المجال المرئي الأوربي[5] .

ولا يخفى من ان خطر الهجرة كان واحد من أشكال التهديد الإسلامي على الغرب ودوره لا يختلف عن مسالة الرهائن أو الإرهاب او الأصولية الإسلامية التي مثلت أشكال التهديد الإسلامي الأخرى ، وهذه الأنماط أصبحت هي الخطر الرئيس على السلام والأمن في العالم الغربي وهي عند البعض

[1] - اسبوزيتوا ، جون .ل، وفول، جون ، الاسلام والديمقراطية ، ترجمة صفوان عكاش ، تقديم محمود عكام ، دار فصلت للدراسات والترجمة والنشر ، ط، 1، ص41

[2] - تركي الحمد ، الثقافة العربية في عصر العولمة ، دار الساقي ،ط1، 1999،ص104

[3] - محمد عابد الجابري،مسالة الهوية العروبة والإسلام والغرب ،بيروت ،مركز دراسات الوحدة العربية،،ص171

[4] - التهديد الإسلامي،ص324

[5] - ولد اباه ، الدين والهوية ، ص 132

منهم شبيه بالخطر الذي شكلته النازية والفاشية والشيوعية في السابق من هذه المنطلقات ظهرت مشاعر العداء للمسلمين كجزء من معاداة المهاجرين[1] .

يقول اسبوزيتو (ان هوية المسلمين المهاجرين تشكلت من خلفياتهم الدينية والعرقية والثقافية بالإضافة الى تجاربهم في الغرب ، فالعيش كأقلية في ثقافة مسيطرة ، وغالبا جاهلة في الإسلام او معادية له تجعل العديد من المسلمين أنفسهم في بيئات الدول الأوربية الذين مازالوا متعلقين بهويتهم الرومانسية).[2]

وفي الواقع وان تعددت الهويات والقوميات فان الهوية الإسلامية بالنسبة للغرب هي واحدة لان الإسلام هو مصدر تلك الأقليات المهاجرة ، فالحديث عن هؤلاء يمثل جماعات إسلامية متعددة وبالتالي هويات وانتماءات متعددة يشكل الإسلام عنصرا مشتركا فيها .[3]

يبدو جليا مما تقدم ان ظاهرة الإسلاموفوبيا المعاصرة كانت الصورة النمطية الأخرى لتغير الهوية الإسلامية في الغرب مع تزايد الإرهاب الحالي ، ويرى اسبوزيتو ان الدور الاقتصادي كان وراء تنامي ظاهرة الإسلام فوبيا لافتا الى استغلال الغرب للأعمال الهمجية الإرهابية التي يجب إدانتها وملاحقة مرتكبيها من اجل تعميمها على الإسلام والغالبية العظمى من المسلمين[4]، وهنا يدعو اسبوزيتو الغرب الى التميز بين الإسلام والمسلمين وبين الإرهاب والحركات الدموية التي طالت الأبرياء في الغرب ، وفي الوقت نفسه هو يدعو أيضا الى عدم الخلط بين حقيقة الإسلام ومفهوم الإرهاب الحديث، يقول اسبوزيتو:(نظرا لانتشار أصوات فوبيا الإسلام فانه من المفاجئ ان لا يخاف الأمريكيون والأوربيون الذين صدمتهم الهجمات الإرهابية في نيويورك وواشنطن والهجمات المماثلة في أوربا التي ارتكبت باسم الإسلام من وجود عدو من الداخل).[5]

لقد كانت الاسلاموبيا ظاهرة كرد فعل ضد التحركات الغربية للاسلام والمسلمين ، وهي من بين ماتهدف الى تشوية الصورة الحقيقية للمسلمين في اوربا وامريكا ، علما الى اليوم ان المسلمون الذين يعيشون في الغرب وفي امريكا يعانون من مشاكل عديدة وتحديات وتحديات جمه بعضها يرجع الى اسباب خاصه بهم وبعضها يرجع الى اسباب تخص البلد المضيف لهم كاتهام المسلم بالارهاب والتطرف الديني ، والنظر الى الاسلام على انه دين عنف بسبب ماتروجه الاجهزه المتحيزه خصوصا بعد احداث الحادي عشر من سبتمر ، وكذلك بسبب شيوع وبسبب شيوع نظريات خاطئة تروج لها جماعات معادية للاسلام كنظرية صموئيل هنتغتن ، التي يجعل فيها الاسلام وثقافته العدو اللدود للغرب وثقافته كبديل للعداء الايدلوجي للاتحاد السوفيتي السابق ، كما ويصف حدود البلدان الاسلامية بالحدود الدموية ، كل ذلك ليوحي ان الاسلام دين دموي ودين عنف .[6]

المحور الثاني الآثار السلبية لظاهرة الهجرات: كان من اهم النتائج المترتبه عن هذه الهجرات هو إشكالية التعايش السلمي مع الغرب ، وظهور ما يعرف برهاب الإسلام ، الإسلام المقدس وغيرة ، وكل ذلك جعل من المسلمين ان يدفعوا ثمن الحركات الهدامة التي لم تتصل بالاسلام والمسلمين

[1] - هاليداي ، فريد ، الإسلام والغرب خرافة المواجهة ،الدين والسياسة في الشرق الأوسط ، ترجمة عبدالاله ألنعيمي ، بيروت ، دار الساقي ، ص188

[2] - اسبوزيتو، مستقبل الاسلام،ص46

[3] -تركي الحمد ، الثقافة العربية في عصر العولمة،بيروت دار الساقي ، ط1، 1999،ص205

[4] - اشكالية الصورة السلبية ، ص22

[5]- مستقبل الاسلام ،ص51

[6] - الجاليات الاسلامية ، ص 19

والتي غيرت صورة الاسلام الحقيقية ، فبدلا من ان يمثل الاسلام صور التسامح والانفتاح والانسانية ، اصبح الدم والقتل والارهاب هو ما يميز الاسلام عن بقية الاديان السماوية الاخرى.

واخذ الغرب يعتبر نفسه انه يعيش في عالم فيه دينان عالميان عظيمان من أصل سامي غالبا ما وقع تحت الحصار للتميز الديني والتحامل على مايعرف ضد السامية ، وعلى المستوى الفكري اصبح الغرب يروج الى مايعرف بارهاب الاسلامي الهدف منه هو وصف شكل من إشكال التميز العنصري بين الديانتين الاسلام والمسيحية .

لقد اتخذ رهاب الإسلام اكثر اثارة للمخاوف والتنبيه الى الخطر من غير رادع في الهجوم بان اوربا وامريكا ان تصبح اسلامية وقد ظهر لدى الغرب ما يعرف بـــ(اوربا العربية) ويستند هذا الخوف الى الافتراض بان الاسلام دين معادي الى القيم الغربية ويتعارض مع كل افكارها وعقائدها ، ويفترض ان نمو السكان المسلمين في اوربا سوف ينتج عنه في النهاية ديموغرافية مسلمة سوف تهدد المجتمع المسيحي تاريخيا والطبيعية العلمانية السائدة فيه .[1]

أقول والحق ان الغرب الذي جزأ العالم الاسلامي والامة العربية وقد اخذ يبث سمومه عن طريق وسائل إعلامه المتفوقه وقدراته التقنية المتقدمة محاولا تكريس التجزئه التي صنعها ، ولكن المفكرين والمثقفين العرب المخلصين لابد من ان يكونوا قادرين على التصدي لهذه التحديات لتثبيت الهوية الإسلامية ولإرساء طريق الوحدة الاسلامية طريق النهوض والبقاء ، ولهذا يكتسب موضوع الهجرات اهمية بالنسبة للهوية الاسلامية ، ذلك ان هوية أي امة هي صفاتها التي تميزها من باقي الامم لتعبر عن شخصيتها الحضارية .

كما ان هذه الصفات التي تتكون عبر الاجيال والعصور من تقاليد وتراث وعطاء وخبرات متبادلة مع الامم الاخرى تتفاعل لتعبر عن نفسها بهوية الامة الحضارية ، فجذور الهوية العربية تمتد عميقة في التاريخ ، تواصلت عبر القرون والاجيال بملامح واضحة المعالم وعبرت عن نفسها بحضارة إسلامية أغنت التجارب العالمية ومهدت لمدنية الغرب ، لذا فان موضوع الهوية يكتسب أهمية خاصة تزداد وتتعاظم في العصر الراهن اذ يشهد الإسلام جهود اعداء تنوع طبيعتهم وتعدد أهدافهم وتتباين مساعيهم لإقصائها عن مسرحها التاريخي والحضاري وفرض ، وفرض الانكفاء عليها اذ تتعرض الشخصية الإسلامية الى الطمس المستمر المعزز بالغزو الثقافي الهدام للإسلام والمسلمين .

لا ينكر ان المسلمين حتى اليوم يواجهون صعوبات في تطبيق دينهم ، في مجتمع صناعي علماني ، اختفت منه المظاهر الدينية والروحية ، فكثير من الأوربيين والأمريكيين يؤمنون بالله ، ولكن ليس لهذا الإيمان أي اثر في حياتهم وسلوكهم وازدياد اهتمامهم بالتكنولجيا العصرية يصرفهم عن ممارسة الشعائر الدينية ، وينطبق هذا الامر على كل المسلمين والنصارى واليهود ، بالرغم من ازدياد اهتمام المسلمين بدينهم ولهذا الامر فانه تقع على مسؤوليته عظيمة على الجمعيات والمؤسسات الاسلامية في اوربا لكي تقوم بتامين الحوائج الدينية والتربوية للمسلمين فيها .[2]

فضلا عما تقدم فان وجود المهاجرين في أوربا وامريكا قد حقق مكاسب عديدة على رأسها اعتراف العديد من المفكرين بالدين الإسلامي انه دين التسامح والتعايش السلمي وهؤلاء المفكرين أدركوا قيمة الإسلام وطبيعة انتشاره وانسانية مبادئه .

[1] - داليا مجاهد ، من يتكلم باسم الاسلام ، ص 142
[2] - الجاليات الاسلامية ، ص 26

وتعضيدا لذلك يقول برنارد لويس (لقد منح الاسلام الراحة والطمأنينة لملايين لا تحصى من الرجال والنساء ، فقد اعطى كرامة ومعنى للحياة التي كانت رتيبة تعيسة وبائسة ، كما انه علم شعوبا من عروق مختلفة ان يعيشوا حياة أخوية وجعل شعوبا مختلفة المشارب تتعايش جنبا الى الى جنب في تسامح معقول كما انه الهم حضارة عظيمة عاش فيها المسلمون وغيرهم معا حياة خلاقة ومفيدة وهذه الحضارة اغنت العالم باسرة بما حققته من انجازات).[1]

ان هذا الرأي من شخص كان قد بذل قصارى جهده في البحث عن الإسلام والمسلمين يوحي بان الغرب معترف تماما بتسامح المسلمين وتعايشهم السلمي وهو بذلك يصرح للغرب بطبيعة الدين الإسلامي حسن تعامل المسلمين في المجتمعات التي يعيشونها ويوضح خطا الرأي الشائع عن حقيقة التهديد الإسلامي للغرب .

لقد اثرت الكثير من الاحداث والمفاهيم المغلوطه على حياة المسلمين المهاجرين واعتبر ان ما يجرى في الشرق الاوسط من احداث سياسية وحركات معارضة واحزاب دينية متطرفه هو يمثل حقيقية المسلمين المهاجرين، لكن ان واقع حال هؤلاء المهاجرين كان غالبيتهم قد ترك بلدة ليصبح آمنا في بلد آخر يؤمن حيته ومستقبل عائلته لذلك ، فان التغيرات الدينية التي طرأت على الاسلام والمسلمين في العصر الحديث لاترتبط ارتباطا وثيقا بظاهرة هجرات العرب والمسلمين الى بلدان الغربة الأوربية والأمريكية .

ومن الملاحظ ان السياسة الامريكية تجاه الاسلاميين في العصر الحالي على الرغم من صعوبة تعاملها مع المسلمين الا انها تعرضت الى النقد وقد شرعت أقلام عديدة داخل الولايات المتحدة الأمريكية في اتهام هذه السياسة بالانحياز ضد الاسلاميين والتحامل عليهم وتعريض المصالح الامريكية المستقبلية في منطقة الشرق الاوسط للخطر ، ولعل اول من طالب الادارة الامريكية بضرورة البحث عن سياسة جديده تجاه الاسلام والحركات الاسلامية هي الصحفية الامريكية روبين رايت ، التي أشارت الى ان الاسلام بعد خمسة عشر عاما من انتصار الثورة الايرانية قد أصبح أسرع وأقوى تيار سياسي في الشرق الاوسط ، وان هنالك العديد من الدول التي ترفع هوية إسلامية.[2]

والحق ان مخاوف الغرب من مستقبل الاسلام ساعد على تشوية صورته الحقيقية ، والتاكيد على ان الخطر القادم هو توسع هذا الدين على حساب اوربا وأمريكيا ، فكان من نتيجة ذلك ان اخذوا يحذرون من خطر ازدياد الهجرة الإسلامية اليهم وقد تداعت بعض الحكومات الغربية مطالبة برفض كلا الهجرتين الشرعية والغير شرعية لما فيها من مخاوف على آمن واستقرار بلدانهم .

لقد تعرضت الهوية الإسلامية نتيجة للحملات العدائية من قبل الغرب الى تغير واضح في مفهوم الاسلام والمسلمين وطبيعة الدين الاسلامي ، فقد عمل الغرب جاهدا على تغير صورة الاسلام والمسلمين ،قاصدين من ذلك النيل من مبادئ الدين الحقيقية والتاكيد على ان الاسلام دين القتل والارهاب .

يقول المستشرق الامريكي بوليت (اذا لم تتم اعادة فهم حقيقية ما عاناه الاسلام كقوة سياسية عبر الالفية والنصف السابقه وحقيقية العلاقة الاخوية بين الاسلام والغرب سيظل لاسم الاسلام وقع صوت الافعى المجلجله على اذان الغربيين ، وتشكل جهود المفكرين طول نصف قرن

[1] - جذور غضب المسلم ، المنشور في كتاب الاسلام الاصولي ، ص 10

[2] - احمد يوسف ، الصحوه الاسلامية في منظار الغرب ، الرؤية الرسمية والأكاديمية لجماعات الاسلام السياسي ، ضمن كتاب مستقبل الاسلام السياسي ، ص 22

مضت مسبوقة بقرن كامل من محاولات المبشرين لإيجاد او تخيل مسلمين يمكن محبتهم لدى الامريكيين اساسا ضعيفا لاعادة التقيم المطلوبة ، ولكن من دون اعادة التقييم هذه سيكون مستقبل العلاقات الامريكية مع المسلمين شائك وغير ممكن التنبؤء به ومليئ بالامال المحطمة والفرص الضائعه)[1]

الخاتمة : بعد مسيرة وفي ضوء ما توافر من معلومات يمكن الخروج بجملة نتائج منها :

1- تشكل ظاهرة الهجرات الإسلامية الى الغرب موضوع اهتما خطير لدى الغرب وهي الى اليوم من اكبر المعضلات عند الأوربيين والامريكين
2- لقد ادت الهجرات الى تغير واضح في معالم السياسة الاوربية والغربية تجاه الإسلام والمسلمين
3- لقد تعرضت الهوية الإسلامية عبر العصور الى التبدلات المختلفة عبر العصور ذلك بحكم الظروف التي تمر بها الامة الإسلامية
4- يبقى الوعي الإسلامي رغم الظروف السائدة والتحديات هو النموذج الامثل للحفاظ على الإسلام وحقيقية الإسلام وهو بدوره يلعب دورا مميزا في تأكيد الهوية الإسلامية
5- ان مسالة الهجرات والهوية الاسلامية تحتاج الى دراسات مستفيضه ومفصله ، وهي تعكس الموقف الاسلامي ازاء التحدي السياسي تجاه الغرب اؤلئك الذين تسلطوا على الاسلام والمسلمين ، وهو تحدي كان موجها بالدرجة الاساس الى الهوية الحضارية للعرب والمسلمين في كللا انحاء العالم الاسلامي

قائمة المصادر والمراجع :

1- احمد يوسف ، الصحوه الاسلامية في منظار الغرب ، الرؤية الرسمية والأكاديمية لجماعات الاسلام السياسي ، ضمن كتاب مستقبل الاسلام السياسي، إعداداحمد يوسف ، الدار البيضاء ، المركز الثقافي العربي ، ط1، 2001.

2- - اسبوزيتو، جون ، ل .التهديد الإسلامي، خرافة ام حقيقية ، ترجمة قاسم عبده قاسم ، القاهرة ، دار الشروق ، ط2002،2 .

3- اسبوزيتوا ، جون .ل، وفول، جون ، الاسلام والديمقراطية ، ترجمة صفوان عكاش ، تقديم محمود عكام ، دار فصلت للدراسات والترجمة والنشر ، ط، 1.

4- اسبوزيتوا ، جون .ل. إشكالية الصورة السلبية للإسلام في الغرب ، حوار مع المفكر جون ،ل، اسبوزيتو أجراه حبيب المالكي على موقع الانترنيت

5- بوليت ، ريتشارد ، دفاعا عن مقولة الحضارة الاسلامية ـــ المسيحية ترجمة محمود حداد ، بيروت ، دار النهار ، ط1 ، 2005.

6- الجابري ، محمد عابد ،مسالة الهوية العروبة والإسلام والغرب ،بيروت ،مركز دراسات الوحدة العربية، ط1 ، 2002

7- تركي الحمد ، الثقافة العربية في عصر العولمة ، دار الساقي ،ط1، 1999.

8- سعد الدين ، محمد منير ، مقدمة كتاب الجاليات في اوربا الغربية ، مشكلات التاقلم والاندماج ، بيروت ، دار النفائس ، ط1، 2003

[1] - بوليت ، ريتشارد ، دفاعا عن مقولة الحضارة الاسلامية ـــ المسيحية ترجمة محمود حداد ، بيروت ، دار النهار ، ط1 ، 2005، ص 138

9- داليا مجاهد ، وجون .ل. اسبوزيتوا ، من يتكلم باسم الاسلام ، ترجمة كاظم سعد الدين ، بغداد ، بيت الحكمة ط1، 2011
10- الدوري ، عبد العزيز، التكوين التاريخي للأمة العربية ، دراسة في الهوية والوعي، بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية
11- ريا قحطان الحمداني ، الاسلاموفوبيا ، جماعات الضغط الاسلامي في الولايات المتحدة الامريكية ، منظمة كير ، العربي للنشر والتوزيع ، 2011.
12- - لويس ، برنارد ، هوامش على قرن مضى ، خواطر مؤرخ مهتم بالشرق الأوسط ، بالاشتراك مع بنزي اليس تشيرشيل ، ترجمة عبد الله الاسمري ، بغداد ، دار الرافدين ، 2023
13- لويس ، برنارد ، الهويات المتعددة للشرق الأوسط ، ترجمة حسن البحري، دمشق ،دار الينابيع ، ط1، 2006.
14- هاليداي ، فريد ، الإسلام والغرب خرافة المواجهة ،الدين والسياسة في الشرق الأوسط ، ترجمة عبدالاله ألنعيمي ، بيروت ، دار الساقي .
15- هارلمبس وهولبورن، سشيولجيا الثقافة الهوية، ترجمة حاتم حميد محسن، دمشق ،دار كيون للطباعة والنشر، ط1، 2010
16- ولد أباه ، عبد الله السيد ، الدين والهوية ، إشكالات الصدام والحوار والسلطة ، بيروت ، دار جداول للنشر والتوزيع ط1، 2010